

مُقَدِّمَةٌ

كثيرة تلك المفارقات التي تحتويها مسيرتنا الثقافية العربية ، منها إعلان ((نجيب محفوظ)) أنه لم يستطع فهم شيء من النقد البنيوي الذي قُدِّمَ عنه في مجلة فصول النقدية في عددها الثاني - الذي صدر في يناير (١٩٨١م)؛ وذلك لا شك يثير في النفس عدة تساؤلات- سواء حول "البنيوية" نفسها ، أو حول نقدنا العربي. من هذه التساؤلات : هل "النظرية البنيوية" نظرية معقدة إلى هذا الحد؟ أم أن ظروفًا معينة جعلت منها نظرية غامضة في نقدنا العربي؟ وإذا كان كاتب بقيمة ((محفوظ)) لم يستطع أن يفهم "البنيوية" ، فإلى من إذن توجه النقاد الذين تبناها في الممارسة النقدية العربية؟ ولماذا تبناها أصلا في ذلك التوقيت بالذات، على الرغم من الإشكاليات التي أثارها - ولا تزال تثيرها - في نقدنا العربي؟ وفي محاولة مني للتوصل لإجابة لهذه التساؤلات جاءت هذه الدراسة.

وقد حَدَّدت موضوع موضوعها بأنه دراسة "البنيوية" دراسة مقارنة بين أصلها الغربي، وتجليها العربي، وهي بذلك تنتمي إلى المجال السادس من مجالات الأدب المقارن كما حددها الدكتور ((محمد غنيمي هلال))، أي مجال دراسة التيارات الفكرية، وهو المجال الذي يتم فيه دراسة تيار فكري ما بين البلاد المختلفة^(١). ويعد هذا المجال من أصعب المجالات في الدراسات المقارنة ، كما أشار الدكتور ((هلال)) ، لكن التساؤلات

(١) د.محمد غنيمي هلال: ((الأدب المقارن))، ط٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٧م ص١٠٢.

تلقي (البنيوية) في النقد العربي → ← نقد السرديات نموذجا

التي رغبت في الإجابة عنها جعلتني أتحمل الصعاب ، وأكابد المشقات أملا في أن أصل إلى نتائج مهمة في دراستي هذه حول النقد العربي ، وحول الثقافة العربية بصفة عامة ، وإنني لا أبالغ عندما أقول إنَّ بعض النتائج التي توصلت إليها تخص المنهجية العقلية العربية بعامة في تعاملها مع الثقافات العالمية المختلفة .

وقد واجهت في دراستي هذه بما وضعته نصب عينيا من تساؤلات، مشكلة في اختيار المنهج المناسب لها؛ الذي أتمكن به من تحقيق الأهداف المرجوه . ولم يكن منهج المدرسة الفرنسية القائم على التأثير والتأثر وإثبات ذلك من خلال دراسة الوقائع المحيطة^(١) مفيدا للدراسة؛ وذلك لسببين :

أولا: أن إثبات التأثير والتأثر في حالة "البنيوية" في نقدنا العربي؛ قد تحقق بالفعل مع إعلان نقادنا العرب أنهم تبناها، ومع تقديمهم تعريفات لها ولأفكار روادها، وتقديم ترجمات لكتب روادها، وتقديم ترجمات لكتب روادها .

وثانيا: أن الدراسة من منظور التأثير والتأثر على الرغم من ثبات تحققها، إلا أنها لا تفيد في الكشف عما أحدثه ذلك الوافد الغربي في الممارسة النقدية التي وفد إليها، وهي بذلك تُعد تأكيداً لمركزية الثقافة المانحة، وتماهيا للثقافة الآخذة؛ فضلا عن إغفالها لما فعلته هذه الثقافة الآخذة بذلك الوافد، وتصويرها بأنها تتعامل معه بشكل آلي وهو ما يخالف ما يحدث فعلا بين الثقافات كما سيجيء .

ولم يكن أيضا منهج المدرسة الأمريكية القائم على التضاد مع المدرسة الفرنسية، والداعم للتوسع في المقارنات والموازنات بين الثقافات المختلفة؛ بهدف الوصول من ذلك إلى فهم عام يساعد في تكون "نظرية الأدب" ويعتبرا المقارنة جزءا منه، ومن الجائز في ظل

(١) أنظر: د.صلاح السروي: (محاضرات في الأدب المقارن)، دار الأقصى للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩٠.

تلقني (البنيوية) في النقد العربي → ← نقد السرديات نموذجا

ذلك مقارنة الآداب بالفنون والعلوم الإنسانية، على الرغم من قلة النتائج التي تتحقق من ذلك^(١)، وهذا المنهج أيضا لا يبدو مفيدا للدراسة فيما تحاول أن تصل إليه من إجابات حول التساؤلات السابقة.

لذا بدا أن المنهج الأمثل للدراسة؛ هو تناول تأثر النقاد العرب "بالبنيوية" من منظور "التوازي التاريخي" *Historical Parallelism*، وهو المنهج الخاص بالدراسة السلافية، ويقوم هذا المنهج على ركنين أساسيين هما:

الأول: أن المتأثر يمر بظروف تاريخية - اجتماعية تجعله قابلا لاستقبال هذا التأثير وساعيا لتواءمه مع طبيعة المشكلات التي تطرحها اللحظة التطورية التي يمر بها.

الثاني: أن المتأثر لا يتعامل مع المادة الوافدة بشكل آلي ولا يضعها متجاورة مع ما لديه من مواد وطنية ولكنه يتمثلها ويدخلها على نحو جدلي ضمن عناصر نسيجه الثقافي بحيث تدخل في علاقة عضوية مع عناصر هذا النسيج^(٢)؛ ومن ثم يساعد هذا المنهج الدراسة على تحديد كل من: العوامل التي أدت إلى توجه النقد العربي "البنيوية" في ثمانينيات القرن الماضي، من منطلق أن هذا التوجه جاء وليد متطلبات معينة، لها ارتباطات بالظروف التاريخية - الاجتماعية، وتحديد تفاعل النقد العربي مع "البنيوية" من منطلق أنه لا يتأثر بها على شكل آلي، وإنما يتفاعل معها تفاعلا عضويا، ومن ثم يمكن للدراسة الكشف عما أحدثه هذا التلقى من تغيرات في الممارسة النقدية العربية.

وجدير بالذكر هنا أن كلمة "التلقي" يقصد بها التفاعل والتلاقح الثقافي بين الثقافات المختلفة، في إطار ما تراه المدرسة السلافية من "توازٍ تاريخي" كما تقدم، ولا

(١) أنظر: السابق، ص ١٥-١٦.

(٢) السابق، ص ١٧.

تلقي (البنيوية) في النقد العربي → ← نقد السرديات نموذجاً

يقصد به أى شيء آخر مما قد يتبادر إلى الذهن من تشابه مع مسميات أخرى تستدعى مفاهيم أخرى غير التي أقصدها هنا.

ولطبيعة (المادة التي تعالجها الدراسة)، ولطبيعة (المنهج الذي تبنته، جاءت في قسمين:

قسم أول: "البنيوية" في أساسها الغربي، وهو ضرورة أساسية للدراسة؛ إذ من غير الممكن التعرف على التغيرات التي أحدثتها "البنيوية" في "النقد العربي"، والتعرف على التغيرات التي أحدثتها النقاد العرب على "البنيوية" في ممارستهم دون التعرف عليها هي ذاتها في أصولها وأسسها، ومن هنا جاء هذا القسم مشتملاً على فصلين:

الفصل الأول: الأساس النظري "البنيوية"، وقد تناولت فيه أسس "النظرية البنيوية" منذ انطلاقها في حوض "الألسنية"، ومروراً بالتنقلات التي حدثت فيها مع "الشكلية الروسية" و"حلقة براغ" وغير ذلك على نحو ما أوضحت في موضعه من الدراسة.

والفصل الثاني: "نظرية السرد البنيوية"، وفيه تناولت أهم منجزات "البنيوية" فيما يخص "السرد" وإجراءاتها وتقسيماتها في ذلك، والتي تعد تغييراً جوهرياً في تناول السرديات عن غيرها من النظريات.

أما القسم الثاني: "البنيوية" في تجليها العربي، فهو يتناول تفاعل النقد العربي مع "البنيوية" وقد اشتمل على فصلين، هما:

الفصل الثالث: "البنيوية" في النقد العربي، وتناولت فيه الأسباب التي دفعت النقاد العرب إلى التوجه "للبنوية"، وذلك بتحليل الظروف التي مرت بها الممارسة النقدية العربية، والأدب العربي، والظرف الاجتماعي السياسي العام للأمة

تلقي (البنيوية) في النقد العربي → ← نقد السرديات نموذجا

العربية، وهو ما جعل التوجه "البنيوية" ضرورة حتمية فى مواجهة هذه المتطلبات، وكذلك تناولت الاتجاهات المختلفة فى تعاملها مع "البنيوية".

أما الفصل الرابع: نقد السرديات فى النقد العربي، ففيه تناولت التطبيق النقدى للنقاد العرب الذين استلهموا "نظرية السرد البنيوية" على نصوص أدبية عربية محللا هذه الإجراءات وموضحا منطلقاتها ورؤيتها تجاه المنهج الذى استخدمته.

وقد واجهتنى فى دراستى هذه صعوبات كثيرة، كان من أبرزها صعوبة الحصول على المراجع الأجنبية الأصلية "البنيوية" نفسها، وعندما حاولت الاستعانة بالمراجع المترجمة واجهتنى مشكلة الترجمة من اللغات الأجنبية بما هو معروف عن بعضها من لغة معقدة أعجمية يكون من السهل التعامل مع النص الأجنبى الأصلي، عن فهم شيء منها. ولكنى استطعت التغلب على هذه الصعوبة من خلال الاستعانة بشبكة المعلومات الدولية *Internet*، وقد كانت معينة لى بدرجة كبيرة، إذ وجدت الكثير من المصادر الأصلية "البنيوية" متاحة للاضطلاع عليها، لكن يبقى على أن أشير إلى ضرورة التزام الجامعات والجهات البحثية والمكتبات العامة فى مختلف أنحاء الجمهورية، بتوفير المصادر والمراجع المختلفة للنظريات العالية المختلفة، حتى لا يتحول البحث العلمى إلى ضرب من ضروب المستحيل، فى زمن أصبح فيه البحث العلمى هو السبيل الوحيد للخروج من الأزمات التى تعاني منها الأمم المختلفة.

وقد واجهتنى مشكلة أخرى هى توثيق المقتبسات المأخوذة من الشبكة الدولية خاصة وأن الروابط التى يتم الاقتباس منها، غالبا ما يتم إزالتها أو تقديم مواد أخرى عليها غير التى كانت موجودة؛ لذا قمت بتوثيق هذه المقتبسات على النحو التالى: ذكر

تلقي (البنيوية) في النقد العربي → ← نقد السرديات نموذجاً

اسم المؤلف، ثم اسم المؤلف، ثم التاريخ الذي أخذ فيه هذا الاقتباس، ثم الرابط نفسه بعد ذلك.

وجدير بالذكر أن الدراسة المقدمة هنا تتم أيضاً في إطار ما يعرف " بنقد النقد " Meta- Criticism ، وهو التوجه الذي يحتاجه النقد العربي بشدة اليوم ؛ نظراً لما فيه من أزمة يعانيتها ، وأيضاً تحتاجه الثقافة العربية بعامه ، نظراً لما فيها من إشكاليات في ظل المتغيرات السياسية والاجتماعية التي تواجهها أمتنا العربية ، وهي الإشكاليات التي تتمحور بشكل أساسي حول طبيعة علاقتنا بالآخر الغربي ، وطبيعة علاقاته - الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها - بنا ، وإنني أرجو أن يكون هذا العمل الذي هو بالأساس رسالتي التي قدمتها لنيل درجة الماجستير - وقد كان من الشرف الذي أفخر به أنها تمت تحت إشراف الأستاذ الدكتور: صلاح السيد محمود السروي مشرفاً ، والأستاذ الدكتور: محمد عبد الله حسين مشرفاً مشاركاً. وقد نلت شرف مناقشة الأستاذ الدكتور: محمد عبد المطلب، والأستاذ الدكتور: سيد البحراوي لها - أرجو اليوم وهي تقدم للقارئ العربي أن يجد فيها الفائدة والنفع بأمر الله ، وأن تكون فيها إجابات عن الأسئلة التي تشغل بال الكثيرين ، وأن تسه ولو بقليل في دفع وتقدم ثقافتنا وحضارتنا العربية .

المؤلف

وائل سيد عبد الرحيم سليمان

ماجستير (النقد والأدب المقارن)

كلية (الأدب قسم اللغة العربية) جامعة حلوان